



السنة الثالثة

نوفمبر ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك : فيثاغورسي مجلد ٦ العدد ٢٧

عاصفة

موسى - كلام الله

تأليف إدموند فلج Edmond Fleg

عاصفة هوجاء تعصف بفكرك ، وثورة عاتية تملك عليك كل مشاعرك وحواسك ، وهزات عنيفة تحرك ما سكن وركد من قرارة نفسك ، وذرات من الشك القاتل المضنى تطاير في سماء يقينك الثابت ومعتقدك الراسخ ، اذا أنت طويت الصفحة الاخيرة من كتاب « إدموند فلج » ، الذى ترجم فيه عن حياة موسى كلم الله ، واكبر قائد سياسى وزعيم حربى خرج من صلب اسرائيل على كثرة ما أخرج ظهر اسرائيل للعالم من كبار النوابغ ، وعلى ما نثر فوق هذه الارض من صور العبقريّة ممثلة في ابناؤه وابناء ابناؤه من أقدم عصور التاريخ القديم الى العصر الحاضر ، فاذا ذكرت من ابناؤه في العصور القديمة يوسف وموسى وعيسى واسماعيل وابناء لاوى ، ومن اسلافه ابراهيم خليل الله ، فواجب عليك ان لا تنسى في هذا العصر دزرائيلي رجل السياسة وبرجسون مهبط وحى الفلسفة ، واشتتين مرجع العلماء وموتل العلم ، ومن قبله هين في الأدب ، واسبنوزا في الفلسفة واللاهوت والسياسة ، وغير هؤلاء ممن تملأ اسمائهم تواريخ العصور على

مدى الازمان. وكان الطبيعة قد خصت ابناء اسرائيل بخاصية لم تخص بها غيرهم من ابناء الارض سوى الاغريق القدماء. فاما عبقرية تبلغ القمم العليا، وقوة تقصر دونهاهم الجبابرة، وإما بلادة لا تنفع إلا في تجارة منجحة الاساييب، أو ميوعة في الفطارة نفوت خنوة بنات مدين وموآب في عصر الفتح اليهودى لأرض الميعاد. ولعل هذه الظاهرة تلازم الشعوب العليا من ابناء آدم. فكان فيهم خاصية تركز العبقرية في افراد قلائل. وتسلبها من المجموع الأعظم، فتستولى العبقرية على زمام الشعب ويطيع الاكثرون طاعة عمياء. فكانهم بذلك يكونون عباقرة في المجموع، مادامت العبقرية هى المسطرة عليهم الآخذة بزمامهم فى الحياة.

ولا نريد أن نستطرد في الكلام والشرح قبل أن نعرف القارى. بمن هو إدmond فلج. مؤلف هذا الكتاب.

ولد إدmond فلج فى جنيف سنة ١٨٧٤ وهبط باريس سنة ١٨٩٢ ليدرس فى السوربون حيث تلمذ على «تورو» و«لالوى» و«ألبرت توماس» وغيرهم من كبار اساتذة السوربون فى ذلك الحين. إنصرف أربع سنوات (١٩٠٠ - ١٩٠٤) الى النقد الأدبى والمسرحى فكتب للجرائد الكبرى مثل الانترنسيجان والاكثير وجريدة الديبا، ثم ترك الصحافة والعمل بها منصرفاً الى الأدب فألف فى الدراما والشعر والقصص وكتابة المقالات والتاريخ.

وكانت أول أشعاره قطعة نشرها بعنوان «اصغوا يا أبناء اسرائيل» - Ecoute Israel - نشرت سنة ١٩١٣، واتبعتها بكثير من القطع الاخرى، غير انها كانت كهذه مستمدة من وحى التاريخ اليهودى وهى نزعته تجدها فى كتابه Jewish anthology الذى نشر فى سنة ١٩١٤ وفى روايته التى نشرت فى اللغة الانجليزية تحت عنوان «الصبي النبى» وكتابه «لماذا انا يهودى» Pour Quoi je suis Juif الذى نشر فى الربيع الماضى وكان له دوى عظيم فى كثير من نوادى العلم والادب. اما رواياته الاولى فنزع فيها الى الروح الكوميديّة والتحليل النفسى كروايته المعروفة باسم «الوحش» La Bête التى اخرجها «جرميه» فى مسرح «انطوران». واشفع كل هذا بسلسلة من المؤلفات الدرامية أوحى اليه بها سني الحرب بوبلاتها وكوارثها، كما كان لمنازعة السلمية أثر كبير فيها. فثلا روايته

« بيت الله » La Maison du Dieu التي خرجت في مسرح الفنون سنة ١٩٢٠ ، عرض فيها بقسيس كاثوليكي وراع بروتستانتى وربانى يهودى . ثم روايته «يهودى البابا» Jui du Pape التي اخرجها «بتيوف» في مسرح الفنون سنة ١٩٢٦ ، وفيها نرى البابا ويهودياً يأخذهما حلم السلام والسعادة البشرية

أما كتابه «موسى» فأخر ما اخرج فلم «فلج» من الثمرات الكبيرة فقد ظهر في سنة ١٩٢٨ مع روايته المعروفة «تاجر باريز» وهى رواية كوميدية أظهرها مسرح الكوميدي فرانسيز وخرجها فيه «فيروى» وأخذ الدور الهام فيها وكل مؤلفات «فلج» مستمدة من الروح اليهودية ، غارقة في وحى اسرائيل . غير انه لا يعجب من تاريخ بنى اسرائيل بما فيه من التخصص التقليدى ، بل يعجب بما فيه من روح الانسانية واخير العام . ولقد وفق كل توفيق في احياء ذلك المثل الا على الذى بث العدل وحب السلام . واثار بضائنه قلوب الانبياء والمرسلين ، وقد صب ذلك كله في قالب شعرى حديث مشبوب باقوى المشاعر العالية

ولا جرم ان هذا هو السر في ان يحوز «فلج» عطف الرجال والنساء من اعلام الادب العصرى على اختلاف منازلهم وشهواتهم ومشاعرهم ذلك العطف الذى تجلى يوم تكريمه حيث رأس مسيو «بنليفيه» الحفلة وقد حضرها كل اعلام الادب والفن والعلم والدين واللاهوت في فرنسا ، ليؤدوا له واجب التكريم . فكان من الحاضرات مدام ده نواي ومدام ده لارو مرداروس ومن الحاضرين مسيو أميل بوريل وفرانز جوردين ، وكبير رباني فرنسا بجانب برنشتين استاذ اللاهوت البروتستانتى . وخطب يومذاك جوزيف بدييه وفرنسوا ده كوريل وجورج ده بورتوريش رئيس «جمعية حقوق الانسان» ورئيس المعهد الدولى للتعاون الفكرى . وشرب نخبه الآب «مارى أندرى ديو» قائلا : نشرب نخب استعلائك الشخصى ، بل تصعيدك الدائم في مراقى المحبة والنور . لان النفس التى ترتفع ترفع العالم معها .

هذا هو (إدموند فلج) نعرف به قراء العربية لأول مرة على مانعلم ، لنعود بعد ذلك الى كتابه (موسى) نستخلص منه ما علق بالذهن بعد قراءة استحالت معها النفس الى صور عبيدة كان فى استطاع (فلج) أن يلبسها فى كل منها ثوباً جديداً ويصبغها بصبغة خاصة

خرج موسى من ارض الفراغة بعد ان اتممت قوته ورجل فرعه واستبانت عضلاته وبعدها اهوى بعصاه على مصرى كان يخاصم عبرانيا فقتله . خرج من مدينة فرعون ميمماً شطر ارض جاهان، فيما بين بليس والاسماعيلية وهي الارض التي سكنها ابناء اسرائيل بعد ان هبطوا ارض مصر في عهد يرسف الصديق . ارض الخصب والمرعى، ارض الدعة والسكون ، ارض الأحلام والسعادة ، بل ارض الميعاد الحقيقي . فاجتازها الى برية سينا ومازال بها حتى اقتحمها ضارباً في الأرض على قدميه ليس معه من الزاد بتدر ما يحمل قلبه من ارادة ، وليس معه من الارادة بقدر ما يحفز هذه الارادة الى المخاطر خوفاً من فرعون وقومه ، بعد ان ظهرت يهوديته بعد ان كان أميراً مصرياً ردحا من الزمان وطوراً من اطوار العمر . وتزوج من بنت شبيب على ان يرعى له الغنم في ارض مدين شرق سينا سبع سنين فان اكملها عشراً فن عنده . وظل موسى يرعى الغنم ويحول بها جولات واسعات في ارض مدين وفي برارى سدوم وموآب وسينا، يبحث عن منابت العشب ويجارى المياه ، وقد ينقطع عن اهله اياماً بل شهوراً ، يذود عن ماله بيده القوية وجنانه المتوثب ونفسه المشبوبة .

وهو بعد سليل ابراهيم خليل الله ووارث يعقوب (اسرائيل) وارث الخيال الخصب والآمال الواسعة العريضة ، وارث ذلك الخيال الذي اخرج ابراهيم من اور الكلدان رافعا علم التوحيد أمام التكثير وهازم النمرود امام الملائكة من اهل بابل إذ جعل الله النار برداً وسلاماً على ابراهيم

يمتد الخيال بموسى الى تقاليد عشيرته واهله وقد افسحت له الصحراء ماشاء ان يحول الخيال ، فتحت السفوح الموحشة وبين الاعشاب البرية وفي السماء الصافية ونجوم الليل المتألقة ، مجال الخيال كخيال موسى يمتد به من بريات سينا ومدين الى ارض جاهان حيث ينزل اهله ، والى مدن فرعون المشيدة على ارض مصر الحصينة ، الى الارهاق الذي ينزل ببناء اسرائيل وبناته من ايدى المصريين انتقاماً لانفسهم من السياسة التي اتبعها يوسف مع المصريين عند ما استوزره الملك الهكسوسى « ابوفيس » على ما يقول بعض المؤرخين

ناحيك بما يحول في خاطره وما يملك عليه زمام نفسه من اشتاق على العبرانيين في عبودية اهل مصر . ويستغرق في هذه الخيالات استغرافاً ويتمثل امامه سياط

المصريين تهرا جلود العبرانيين ، وقد خصوهم بالشغل في الطين وعمل اللبنة فاذا اعوزهم التبن ضربوا واذا اعوزهم الماء ضربوا وأهينوا وقطع عنهم الزاد ، فاذا شكوا لم تجبهم الا السياط ولم تلتفهم الا غياهب السجون . مظالم لم يرو التاريخ من امثالها الا القليل ، واستعباد لم يرق بمثله الا ابناء اسرائيل في أرض الفراعنة . وتمثل أمامه الكارثة الكبرى والمصيبة العظمى في قتل الاطفال ذكورا ، وتركهم إناثاً . سياسة لا يقصد بها الا أن يندمج شعب اسرائيل في الشعب المصري ، إذا قتل ذكره وبقي إناثه واضطرون أو أجبرن اذا ما بلغن الحلم أن يتزوجن من المصريين فيفقدن بذلك طابعهم وتموت تقاليدهم . وعندى أن هذا أصح تفسير لهذا الحادث التاريخي الذي تقول الكتب المقدسة إنه لم يقع الا لأن فرعون قد علم من الغيب بأن من أبناء اسرائيل من سوف ينزله عن عرشه . وهي نبوءة لم تتحقق ، لان عرش مصر ظل في أيدي المصريين بعد خروج موسى بابناء اسرائيل من مصر ، وعلى فرض ان الملك الذي خرجوا في عهده قد ابتلعه اليم وجيشه اذا كان يتعقبهم ولقد نشأ موسى على ما يروى سفر الخروج في ظل الامارة الفرعونيه ، تلك الامارة التي ما استقلت يوما عن سلطة الكهنوت والكهان ولا تلقى افرادها العلم الا من أيدي قديسيهم الذين ضمتهم جدران المعابد في مصر القديمة ، وجمعوا في علومهم بين اوضاع اللاهوت وعلم الاحياء أو السحر على ما يقولون . والظاهر أنهم كانوا قد برعوا في هذه الفنون براعة كبيرة وتمكنوا منه كل تمكن .

في هذا الوسط نشأ موسى وفي تلك البيئة حذق العلوم القديمة وبرع في فنون ما كان لغير أهل الامارة الفرعونية ان ينالوا منها شيئاً . وقد عرف من عزة الامارة الفرق بين حرية الناس وبين العبودية ، وأدرك بالعمل والواقع ، الفرق بين العبد الرقيق والسيد الحر

لهذا كان ينتظر موسى انتضاء السنين العشر بفارغ الصبر ليرجع اذا ما أوفى دينه ، الى أهله بمصر فيخرج بهم من أرض الفراعنة الى الصحراء وان ماتوا فيها جوعاً وعطشاً . على أن يظلوا في أرض جاهان عبيداً أرقاء .



ودار الزمان دورته وانقضى أجل الدين الذي كان على موسى نحو صهره شعيب ،

وفصل موسى بزوجته وأولاده وأغنائه وودع أرض مدين واستقبل سيناء غضبان
أسفاً . غاضباً على فرعون وعلى عشيرة فرعون ، وآسفاً لأنه اضطر الى فراق الشيخ
الرضي الأخلاق الذي آمنه من خوف وأطعمه من جوع . شعيب الذي كان له بدل
الاب أباً وبدل ألام أمأ ، وظلله بعنايته عشرأ من السنين الطوال

وهل أتاك حديث موسى اذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا لعلى آتيكم منها
بقبس أو أجد على النار هدى . وكان وسط برية سيناء فريداً مع زوجته وأغنائه
يهش عليهم بعصاه إذ هو ضال في وسط الليل البهيم فيترآى له القبس فيترك أهله
لعله يأتى بنار أو يهتدى على القرى ، أو يسقط على أشخاص من أبناء آدم وحواء .

وقد تطول عليه الشقة والليل محلولك الالهاب مرخى السدول . وكثيرأ ما يعاود
الانسان في مثل هذه الحال أثبت الفكرات في نفسه ، بل غالب ما يحاول الانسان
أن يستجمع ماتفرق بالخوف والفرزع شيئاً ما تبدد من مجموع فكره ، فتطراً عليه
أخيلته في المثل العليا التي يعتقد أنها اكبر واجباته في الحياة . وأى شيء يمكن
أن يساور موسى في مثل حاله الا خيال أهله في مصر واستبداد المصريين بهم . وهنا
وفي مثل هذه الحال يسمع من يناديه (ياموسى) فيصغى واذا به يأمر بأن يخلع نعليه
لأنه بالوادى المقدس طوى وانه مختار ليذهب برسالة الى فرعون ليطلق سراح
اسرائيل شعب الله المصطفى دون بقية العالمين . ومن ذ الذي يخاطبه في ذلك الا الله
الواحد القهار !!!

على هذه الصورة تتكون عندك رسالة موسى ونبوته اذا أنت قرأت إدوموند
فلج ، على أن تقرأه بين السطور وفي خلال المعانى . أما ظاهر الكتاب فقصة
دينية تفسر بمقتضى النصوص التي وردت في أسفار العهد القديم وفي التلهود وتفسيرات
الربانيين .

وفي مثل هذه الصورة تحصل على كثير من الصور الاخرى المتناثرة في قصة
موسى . وكلها في الظاهر مروية في قالب لاهوتي لا يغضب أحداً من أهل الاديان العظمى
ولكن مرماها الخفى يرمي الى نظرية واحدة هي أن الدين فلسفة وضعت على أن
توافق عقلية الجماهير .

اسماعيل مظهر